والارجح انّ الكنيسة الاسكندريّة اخذتهُ عن ليتورجية القديس يعقوب الرسول والله اعلم

وفي الختام نثني على همة صاحب هذا الاكتشاف المهمّ لانّ كتابهُ هذا انبأنا بلسان حالهِ على شأن نوافيرنا الحالية التي لا تختلف عن نوافير اجدادنا الّا في الاعراض. فسبحان الله الذي لا يزال يؤيد ايماننا بوسائل جديدة وينفي عنا الشبهات بمنّه وكرمه والسلام

نبذة من كتاب الباكورة

للورفسقوس جرجس شلحت الحلبي السرياني

مقالة في تأويل قصيدة ابن سينا الشهيرة في النفس تأويلًا يحميها من ربقة الرعم الضالّ الذي بنيت عليهِ وهو قول افلاطون بان النفوس تقدّمت الاجسام في الوجود. فلمّا خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد

١

هبطتْ اليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذاتُ تمنّعٍ وتمنّعِ

هذا البيت هو مطلع قصيدة مشهورة لابن سينا في النفس. وهي برمّتها تُلمع الى ما ذهب اليهِ افلاطون (١ من ان النفس وُجدت في السماء قبل اتحادها بالجسم. فلمّا خطئت قضى الله عليها بسجن الجسد. وعلى هذا فقد شاهدتْ في زعمهِ الطبيعة الالهيّة قبل تجسُّدها وستشاهدها بعد انتقالها من هذه الدنيا. وكان يقول ان النفس حياة خالدة محجورة في جسمٍ فانٍ والموت ضربٌ من البعث فان مات الحكيم انفتحت نفسهُ للحقائق السامية ورأت الله مبدعها

وذلك القول بان النفوس وُجدت قبل وجود الاجسام مردود عند الحكماء ببراهين قاطعة أخصّها انّ الله سبحانهُ لم يخلق الخلائق الّا في حالة كمالها. ومن المعلوم انّ كمال الانسان قائمٌ باتحاد النفس بالجسد. وتاهيك ان النفوس ان كانت منذ بدء العالم فلا جرم انها كانت مُتحلّية بقواها العقليّة عاملةً بها. فكيف يا تُرى نسيتْ كلّ ادراكاتها السابقة ولا يردّ ذلك ما اتى بهِ افلاطون برهانًا على زعمهِ من ان النفس لا تكتسب معاني الجمال والحقّ والخير والعدل بالاختبار بل تتجلّى لها كأنّها تتذكّر امرًا قديمًا على حدّ قول صاحب نظم السلوك:

---

١) افلاطون احد مشاهير فلاسفة اليونان وتلميذ سقراط ولد سنة ٤٣٠ ق م وتوفي سنة ٣٤٧

وُينيك عن شأني الوليدُ وان نشا بليدًا بإلهام كوحي وفطنةِ
اذا أنَّ من شدَّ القماط وحنَّ في نشاطٍ الى تفريج افراط كربةِ
يُباغي فيافي كلَّ كلِّ اصابهُ ويُصغي لمن ناغاهُ كالمتصتِّتِ
ويُنسيهِ مرَّ الخطب حلوُ خطابهِ ويُذكرهُ نجوى عهودٍ قديمةِ
اذا هام شوقًا بالمغاني وهمَّ ان يطير الى اوطانهِ الاولية
يُكبِّل باتحريك وهو بهمدهِ اذا ما لهُ أيدي رُبيبهِ هزَّتِ

فانَّ هذا القول انما هو مردودٌ ايضًا. وتلك المعاني تُكتسب بالافتكار والتأمل بعد تجريد الصور من العلائق المادِّيَّة ونقل الجزئيَّات الى كلِّيَّاتها. حتى ان المذهب الصحيح في الفلسفة ان تصوّرات غريزيَّة في الانسان بل كلُّها تحصل له بطريقة الاكتساب. والعقل يُوجد في مبدإ امرهِ مستعدًا لقبولها كأنهُ "صحيفة صقيلة لم يُكتب فيها شيء." (١ كما شبَّههُ ارسطو تنطبع فيهِ الافكار بالتدريج شيئًا فشيئًا

ولقد جاء في كتب اوريجنيس الملقّب ذكر ذلك الزعم الضالّ بقدم النفوس. وقيل ان بعض المبتدعين حرَّفوا كُتُبه والله اعلم وكان هؤلاء التابعون مذهب افلاطون يُعلِّمون ان النفوس خُلقتْ في البدء ثمَّ سقطت في الخطيئة. فبرأ الله العالم ليكون سجنًا لها وعقابًا (٢. وقد حرَّمت الكنيسة هذه البدعة في المجمع الخامس المسكوني عام ٥٥٣. ولا يحقّ لنا ان نجرّد غضب القدح والطعن على افلاطون. من حيث انهُ كان رجلًا وثنيًّا لم تُشرق عليهِ الديانة المسيحيَّة بانوارها الالهيَّة اللامعة واضواء وحيها الساطعة. فكان نورُ العقل قائدهُ الوحيد في مباحثهِ السامية. وما اقتبسهُ من مبادئ الاديان او هي الفلسفة الشرقيَّة كان عقائد اعتورتْ معانيها عاديات الزمان وتقلُّبات الحدثان. فاصبحت آثارًا مشوّهة لعين الحقيقة لا تشفي بلّتها غلّة ذلك القلب المحترق بحبّ الطبيعة الالهيَّة. ولا تفي أدلّتها بما كان يشرئبّ لبُّهُ الى البحث عنهُ من الحقائق الفائق ادراكها طور العقل البشري. فلا لوم عليهِ ولا تثريب اذا كان قد سقط في اغلاطٍ وغوايات

بيد انَّ الذنب كلَّ الذنب على اولئك الذين كانوا سائرين في اشعَّة شمس الحقّ وقد تمكَّموا في دجور الاضاليل. وغرامهم بالفلسفة الاشراقيَّة ثم بالفلسفة المشّائيَّة حداهم على التهوّر في ما ينافي الوحي الالهيّ. فكان على تبّاع افلاطون المسيحيين ان ينتبّهوا

(١ الخلاصة اللاهوتية ق ١ مب ٧٩ ف ٢ ومب ٨٤ ف ٣
(٢ طالع شرح مجاني الادب ص ١٨٧ من القسم الاول

فلسفتهُ ويُصلحوا اغلاطها بما في الدين الحقّ من التعاليم الصائبة كما فعل القدّيس اوغسطينوس. وكان كذلك على مُشايعي ارسطو ان يُستنذوا فلسفتهُ ويتقُّوها من أدران الخطإ كما فعل القديس توما الاكويني

وهاءنذا ايضاحاً لما انا مُثبتهُ اذكر على وجهِ المثل ما كان يجب فعلهُ على مثالي فلسفة افلاطون المسيحيّين في شأن قولهِ الضالّ بقدَم النفوس. على ان الكتاب المقدّس في الفصل الاول من سفر التكوين يذكر خلقة الانسان صادعاً بانَّ النفس والجسد خُلقا معاً. فبذلك الوَحي يبطل زعم افلاطون. وعلى هذا كان ينبغي لتبّاعهِ المسيحيين لا ان يأتوا ببدعة تناقض الوَحي الالهيّ بل كان يمكنهم ان يؤوّلوا ذلك القول تأويلاً مسيحيًا موافقاً لهُ من غير ان يضلّوا. وانا على سبيل التجربة اذكر هنا تأويلاً مطابقاً للتعاليم المنزلة في شأن زعم افلاطون المشروح آنفاً فاقول:

ان هذا الزعم يُحاكي مُعتقد الهنود والصينيين والبابليين والمصريين والفينيقيّين وغيرهم من الشعوب القديمة. وهؤلاء كانوا يعتقدون ما اعتقدهُ الاسرائيليُّون من ان الأب الاول طُرد من الفردوس هو والامّ الاولى بسبب جريرتهما. ولكنَّ هذا المُعتقَد عند اهل آسية عدا الشعب الاسرائيلي كان ممتزجاً بافكار شعريّة وخرافات لا طائل فيها اختلطت بهِ مع تمادي زمن التقليد. ومصداقاً لذلك أُورد هنا ما أتى بهِ في هذا الصدد صاحب معجم (١ المقابلة بين تعليم الايمان الكاثوليكيّ وغيرهِ من التعاليم الفلسفيّة والدينيّة. قال رحمهُ الله لدى كلامهِ على الخطيئة الاصليّة ما مُحصَّلهُ: « لو حاولنا ان نأتي على سرد كلّ التعاليم الوثنيّة التي لنا ان نثبت بها عقيدة الخطيئة الاصليّة اذًا لكان علينا ان نشفع بتاريخٍ وافٍ جميع هذه المزاعم الضالّة الناجمة عن تقليد سقطة الابوين الاوّلين. وهذا باب واسعُ مجالِ القول. فنجتزئ عنهُ ببيانٍ شافٍ نحقّق بهِ ان الوثنيّين قد احتفظوا بهذه العقيدة الاساسيّة. وان مسخوها مسخاً. على ان الهنود مثلاً يعتقدون ان النفوس مُجلاة عن وطنها. وفي اثناء جلائها المشؤوم لا تزال متنقّلة من جسمٍ الى جسم. فان الممالك الطبيعيّة من حيوان ونبات وجماد انما هي مشحونة بالارواح الساقطة من مُعتدٍ شريف ووطنٍ منيف. وهي تنزع ابداً الى العود اليهِ.

١) هو المجلّد الثامن والثلاثون من موسوعات العلوم اللاهوتية التي نشرها الاب مين الشهير صاحب مكتبة الاكليروس الجامعة

فالعالم باسره ان هو من هذا القبيل الا مطهر رحيب ». فلعل معتقد هذه الامم التي اخذ عنها اليونانيون خرافاتهم حمل افلاطون على ما ذهب اليه من ان النفس لما خطئت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد. دونك تأويل زعمه تأويلا مسيحيا مفضلا. وفيه آتي على شرح مغزى تلك القصيدة البليغة لابن سينا. وهي التي جئت بمطلعها في مفتتح الكلام:

تبكي وقد ذكرت عهودا بالحمى بدامع تهمي ولما تقلع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
عجمت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع

ان الدين قائم بذكر الله. والانسان الخالع ربقة الدين هو ذلك الذي لا يذكر الله ولا يترجاه » قال الجاهل في قلبه ليس اله ». ومنذ نشأة الانسان كلما كانت تكمل عبادة الباري عز جل وديانته الحقة كان يكمل ذكره ورجاؤه (١. فبادىء بدء قد طرد ابوانا من جنة عدن لداعي معصيتهما وجلبا معهما ذكر الخالق الذي كانا قد رأياه وسمعاه وكلماه في الفردوس ورجاءه الذي سوف يحشر صبحه لهما ولذراريهما لما قيل من ان « المرأة ستسحق رأس الحية » رعني بالمرأة ام الله الفادي وبالحية ابليس عدو البشر. ولكن كم كان ذلك الذكر مرمضا مضا وكم كان ليل ذلك الرجاء بعيدا تباشيره فجره. فكاني بلسان حال ابوينا ونسلهما يصيح اذ ذاك منشدا:

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح كنار تطمح للمؤمل
ولما عهدناه المفضل لم نغفل بصبح وما الاصباح منك بامثل

فقام الدين ردحا من الدهر بذينك الذكر والرجاء. والآباء الاولون لم يكن لهم تعزية الا بهذه العلالة في عالم الشقاء. فكانوا يكررون على مسامع ابنائهم وحفدتهم انهم محجلون عن الوطن السعيد حيث كان اجدادنا معاشرين الله. بيد انهم بحسب وعده تعالى سيعودون اليه سالمين غانمين اذا آمنوا وعملوا الصالحات. وبذلك كان يسكن روعهم ويسرى عن افئدتهم وتعذب لديهم مرائر الحياة:

وما صبابة مشتاق على املي من اللقاء كمشتاق بلا امل

فكان « ابناء الله » يذكرون العزة الالهية فيرجونها ويتصورونها فيحبونها ويتمثلونها

(١ اقتبست هذا المعنى الشريف من خطبة نفيسة في التناول الروحي للخطيب المصقع الاب لاكردار الفرنسوي الدومينيكي الخطير

فيتوقون الى بهاء رؤيتها وسناء طلعتها على حدّ قول الشاعر :

وما برحوا حتى اراهم مني فان تأوا صورةً في الذهن قام لهم شكلُ
فهم نصب عيني ظاهرًا حيثما سروا وهم في فؤادي باطنًا اينما حلّوا

وعلى ذكر الطرد من جنّة عدن ورجاء الرجوع اليها استمرّ الدين قائمًا الى ان اخذ ذانك الذكر والرجاء ينقصان بين الآدميين على تمادي الزمن وتراخي مسافة تحقيق الرغبة في العود الى ذلك الوطن. حتى نُسي الخالق وعُبدت الخلائق وكادت تمّحي من لوح الاذهان تلك سطور التقليد الذهبيّة الخلاصيّة بما طرأ عليها من صدإ الاوهام والخرافات الخياليّة. فصحّ حينئذٍ القول في النفس اذا حُمل على محملٍ مجازي وعُني به الجنس البشري :

وصلت على كرهٍ اليك ورُبّما كرهت فراقك فهي ذات توجّعِ
أنفتْ وما أَلفت فلمّا واصلت الفتْ مجاورة الخراب البلقعِ
وأظنها نسيتْ عهودًا بالحمى ومنازلًا بفراقها لم تقنعِ

ولمّا زاد الآدميّون نسمةً في طنبور طغيانهم وتاهوا وعربدوا في سمامهِ نسيانهم وكفرانهم ما خلا صفوةً منهم اقاموا على ذكر الله ورجائه وقليل ما هم شاء الله ان يُجدّد وجه الارض ويبعث ذكره ورجاءهُ من رمس الاهمال. فغطّى البسيطة بالغمر وسرّ عدلهُ بان تُثّل دعائم ذلك المعمور الذي علقهُ البشر بطامّةٍ كبرى أبقتْ لها اثرًا في كلّ اينٍ وآنٍ فأين وحتى اتّجهت معارف الانسان تُلفي يد الله مطبوعةً في الخلقة ثمّ في بقايا الطوفان. ولقد خلُص منهُ نوح واسرتهُ وخرجوا من الفُلك صاحبين معهم ذكر الله الذي أخلى الارض وانقذهم من هذا البلاء العميم ورجاءهُ الذي أصبح حينئذٍ وثيق العرى موطّد الاركان. وقوس قُزح الذي اراهُ الله نوحًا بين الغمام علامة ذلك الرجاء وتذكارًا لحفظهِ وعترتهُ من تلك الجائحة التي استأصلت شأفة البشر وأبادتهم عن آخرهم

بيد ان ذكر نوح ورجاءهُ لم تلبث يد الزمان ان عبثت بهما وراح الآدميون يعبدون الاوثان وطغى الجهل وطغى الفساد وكاد ذلك التقليد الصحيح تُنسف رسومهُ بما عاد فعصف عليها من سوافي الخرافات وهُوج النزهات التي على ما يبين ورّطت فيما بعد افلاطون ان يذهب ذلك المذهب الضالّ. فنظر الله الى الارض فاسخطتهُ شرورها.

فهمَّ بالانتقام. فذكر عهدهُ مع نوح. فشفق على جبلة يديهِ. واشفق من ان يُفقد من بين البشر ذكرهُ ورجاؤهُ. فدعا رجلًا بقي مقيمًا على عبادتهِ وهو ابرهيم خليلهُ وامرهُ ان يبرح وطنهُ ويُغادر عشيرتهُ. واختار لهُ بلاد فلسطين ووعدهُ بان يورثها ذرّيتهُ التي سيجعلها شعبًا عظيمًا يُبارك فيهِ كلَّ امم الارض وسُميت لذلك ارض الميعاد. ولمَّا اوعز اليهِ ان يُضحي ابنهُ اسحق الذي كانت تضحيتهُ رمزًا وشبهًا لذبيحة ابنهِ الوحيد وهمَّ هو بذلك مُطيعًا أمره الالهي أوقفهُ واستأنف لهُ مواعيد الرجاء. واقسم لهُ بذاتهِ ان سيُخرج منهُ مخلصَ العالم

واستمرَّ ذكر ورجاء ابرهيم واسحق ويعقوب والانبياء من بعدهم محفوظًا في الاسرائيليين حفظًا لم يكن ليُزيلهُ كرّ الاعصار حتى انَّ اليهود الذين عُميت بصائرهم ولم يؤمنوا بمجيء الغادي لو لم يحتفظوا بذلك التقليد لكانت قد بادت جنسيَّتهم واضحوا أثرًا بعد عين

وما زال ذانك الذكر والرجاء سائدين بين شعب الله المختار الى ان حُمَّ إبّان تحقيق المواعيد. فجاء يسوع المسيح الاله المتأنس ورآهُ وسمعهُ ولمسهُ في شخص التلاميذ واليهود البشرُ باجمعهم. وما برح الرُّسل عرضةً للشكّ لداعي إقامتهم على العهد القديم الى ان مات المخلّص وقام فاقام معهُ ذكره ورجاءهُ الجديدين صاعدًا الى ابيهِ فاتحًا للآدميين تلك الابواب الدهريَّة التي كانت قد أُوصدت بسبب المعصية الجدّيَّة. فتقوّى بذلك الرُّسل وانتعش التلاميذ. وانتشروا يبثُّون الدين الحقّ في اصقاع المسكونة هم وخلفاؤهم من بعدهم الى ان دُكَّتْ عُمُد الكفر وانقلبت الاصنام ودخل الناس في دين المسيح افواجًا. وثبتت الكنيسة التي اسّسها على الصخرة بطرس حافظةً برأسها المنظور حفظًا معصومًا من الغلط ذكر تعاليمهِ ورجاء مواعيدهِ وستدوم ثابتةً الى انقضاء الدهر. وهو تقدَّس اسمهُ معها وفي وسطها قلن تتزعزع ولن تقوى عليها ابواب الجحيم

هذا ولقد وجدت في مقدّمة القسم التاريخيّ من كتاب آثار الادهار رأيًا غريبًا في تفسير السبب الذي حدا افلاطون على ان يذهب الى القول بقدم النفوس. فدونكهُ على علّاتهِ: « بديهيٌّ انَّ جميع هذه العلوم صدرت عن العقل وتقدّمت باقبال الانسان عليها كما تقدّم هو بتقدّمها ولولا ما ذكر من عوارض ضعفهِ لبلغ من النجاح غايةً لا

يكاد يتصوّرها الآن. على انّ مرور الأيام وبقايا السلف ما زالت تزيده تقدّمًا. فانهُ مخلوق عاقل ينتفع بما يرى وما يُطلعهُ عليهِ التاريخ من احوال الماضين فانهُ يكفيهِ مؤونة الامتحان. وحسب التاريخ بهذا فضلًا. ولولا ذلك لغنيَ الانسان في طلب ما وجدهُ غيرهُ من قبلهِ وانتثر سلك الاختراعات بتقادم العهد وتبدّل الاعصار فانَّ العالم قديم لا محالة وان اختُلف في تحديد زمنهِ لانَّ وضع بعض العلوم والفنون مما عرف الهنود والبابليُّون والمصريون وغيرهم من الشعوب القديمة اقتضى بلا ريب زمنًا طويلًا. وربَّما كان ذلك مما حمل افلاطون على ما زعم من انَّ نفس الانسان تكون قبل حلولها بالجسم في محفل الآلهة عارفة اسرار الخليقة فاذا هبطت الى الجسم ليتولّاها الضعف حتى تصير كأنَّها سُلبت تلك المعرفة. ولا تلبث بعد ذلك ان تتجرّد من ذلك الضعف فتجد ما أضاعت او تتذكّر ما نسيت »

امَّا التأويل الذي أتيتُ بهِ لذلك الزعم فلست باوّل من قالهُ فانَّ الخطيب العصري الشهير الاب منبري الفرنسوي الدومينيكيّ قال في عرض خطبته في معرفة الله بعد اذ سرد زعم افلاطون ما نصُّهُ: « يمكن ان يُفسَّر هذا التعليم الغريب بتطبيقهِ على سقطة الانسان ». وقالت المجلّة الفرنسويّة الموسومة بالكاثوليكيّة في عددها الصادر في كانون الثاني عام ١٨٥٦ ما تعريبهُ: « لا خفاء انَّ نفسنا على رأي افلاطون قد شاهدت الكلمة الالهيَّة وعرفت الحقّ في حياة تقدّمت حياتها الحاضرة ثمَّ حُبست عقابًا لها على مأثمها في جسدٍ أرضيّ مائت. فاضاعت معارف كانت محرزةً لها سابقًا حتى انَّ التعلُّم للانسان انَّ هو الّا ذكرى. وقد قال العلّامة اللاهوتيّ الاب لويس تومسّان: لو وضعت عوضًا عن هذه القصة الخرافيَّة الحادثة التاريخيَّة الصحيحة وهي حالة برّ وسعادة وحظوة الابوين الاولين التي كانا فيها بالجنس البشري حصل في شخصيهما عليها وفقدها بسبب جريمة العصيان. اذًا لكنت تُلفي في زعم افلاطون الضالّ أثرًا للتعليم المسيحيّ القويم ». وما احسن وابدع ما قالهُ في النفس القدّيس اوغسطينوس في الفصل السادس والعشرين من الكتاب الاول من المكتبة الروحيَّة المشتمل على تأمّلاته. فهاكهُ مُعرَّبًا شعرًا بقلم المترجم اثابهُ الله:

النفس جلّ سؤالها في الارض حلُّ عقالها
تبكي وتندب اربًا فُقدت بسوء فعالها

ذكرى الحسارة في الشقا زادت على اثقالها
لكن اذا بلغت الى اوطانها ومآلها
نالت من الافراح ما يُربي على آمالها
فرح الجنان اذا بدا تُكفى ضنى احوالها
فرحٌ تنوء بوصفهِ لسنُ الورى بمقالها (١

وختاماً لما اثبتُهُ في هذه العجالة آتي هنا بقطعة نظمتها في هذا الصدد وضمّنتها صدر مطلع معلّقة امرئ القيس وهي :

الذكرى

خليليَّ غوى عهدنا المتقادم ومتنيَ في موج الهوى المتلاطم
«قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل» هما الله والفردوس موطن آدم (٢
يذكّرني التقليد والوحي بالذي جرى قدماً والذكر شقوة عالم
فأبكي على فقد السعادة نادباً وألطم خدّي قارعاً سنَّ نادم
وتوشك نفسي ان تفيظ تلهُّفاً على وطن الجدّين مجلى العظائم
فينثني رجوعُ المعاد الى الحمى فاسعى لكسب الاجر سعي الاكارم
أزجي حياتي في المبرّات دائباً رجاء امتاعٍ بالسعادة دائم

اليزيدية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (تتمّة)

١٦ اسلحة اليزيدية

من اسلحتهم الاسلحة الناريّة الحديثة المستعملة عند الجميع . واماً قبل خمس عشرة سنة فكان من اسلحتهم « تفنكة الششخان » وهي البارودة المسدّسة الانبوب من الداخل . وكانت من أهول البواريد المعروفة في تلك البلاد يومئذٍ والقَرَبينة وهي بندقيّة قصيرة خفيفة واسعة الفم والفرد وهو معروف . وما كان لهم عهد بغير هذه الاسلحة الناريّة . اما ألواح السلاح (٣ فمنها الرماح المتّخذة من القنا الهندي (Bambou)

١) كذا رأيت اصلاح هذه الابيات ٢) لينتفر لي حاذقي العروضيون هذا الناد الذي لم يجزهُ الخليل . والّا فليكسروا الدال حاسبين اللفظة اعجميّة . فلا بأس في التصرّف بلفظ الكلم الاعجمية ولاسيما اذا دعت اليه ضرورة الشعر

٣) وهي التي سمّاها بعض الكتبة المحدثين الاسلحة البيضاء تعريباً للفظتي Armes blanches